

يوم الهجرة

الله تعالى ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت » ويحول الله قبلته إلى بيت المقدس لحكمة يعلمها ، فيظل الرسول متذكرا مكة والكعبة ، مقلبا وجهه في السماء راجيا أن يوليه الله قبلة يرضاها ، وما إن ينزل قرآن بتحويل القبلة إلى الكعبة حتى يسارع الرسول بالتحول إليها قبل أن يتم صلاته في المسجد في القبليتين ، وما إن تلوح أول فرصة لفتح مكة حتى يعود إليها عودة المصلح الصافح ، لعودة الحقود الثائر وكذلك شأن النبوة في جمالها وكمالها : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

وعلمتنا الهجرة أن الصديق المساعد إذا أخلص في صداقته وتطهر من الأغراض والأمراض في مؤازرته ، كان على الأحداث خير معوان ، وكان في الشدائد أكرم إنسان ، فهذا أبو بكر وزير سيد الأنبياء ، يضرب المثل العليا في الوفاء لرسوله وقائده ، فيشتري الدابتين لرحلة الهجرة سرا ، ويعد ابن أريقط ليكون لهما دليلا ، ثم يبكي من الفرح حين ينشئه الرسول بأنه سيكون رفيقه في هجرته ، ثم يأخذ ماله كله معه ويترك بيته وفيه بنات صغيرات كهائشة وأسماء ، وله والد شيخ ضعيف هو أبو قحافة ، ثم يترك وطنه الغالي ليخرج إلى رحلة لا يدرى مداها ولا منتهاها ، ثم يجند ابنه عبد الله ليحمل الأنباء إليهما وهما في الغار . وبنته أسماء لتحمل الطعام ، ومولاه عامر بن فهيرة ليسقيهما لبن قطيعة من الغنم ، ثم يحمل الرسول على كتفيه حين أحس بالألم في قدميه ، ثم يتقدمه أثناء السير تارة خوف الرصد ، ويتأخر عنه تارة خوف الطلب ، يريد ليفديه بنفسه ، ويستبرئ الغار له قبل دخوله ، فإن كان فيه أذى أصابه بدل الرسول ، ثم يبلغ به الخوف على الرسول مبلغه وقد وقف المشركون بباب الغار ، فيثبت الرسول فؤاده قائلا . لا تحزن إن الله معنا .

ثم يسأله الناس في الطريق . من هذا يا أبا بكر ؟ . فيجتال في الإجابة قائلا . هذا هادي يهديني الطريق . فيحسب الحاسب أنه يعني الطريق في الأرض ، بينما هو يعني سبيل الخير وطريق الهدى . وكذلك يكون صدق الوفاء في الإخاء ! .

وعلمتنا الهجرة أن المرأة المؤمنة تستطيع أن تسهم بنصيبها

إن يوم الهجرة في سيرة الإسلام خاصة ، وفي تاريخ البشرية عامة يبدو كالعنوان للكتاب ، بل كالفتاح للباب ، فقد كان إيذانا بفتح جديد ونصر مجيد ، ونقطة تحول في اتجاه الإنسانية نحو الحق والنور ، وجاءت نتائج القرية والبعيدة مؤكدة أن الله قد جعل هذا اليوم الجليل الخالد منفذاً إلى بركاته التي جلاها على الإسلام والمسلمين فيما بعد ، حين صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وحين حقق لرسوله الكريم عليه الصلاة والتسليم أمره : « وقل ربني أدخلني مدخل صدق ، وأخرجني مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ، وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا » .

وإن الأحداث العالمية الجلى لتمر متتابعة ، لها وميضها وزلزالها ، ما بين حديث وقديم ، ومسعد وأليم ، وجائر وقويم ، ثم تخبو أو تنطفئ ويظل حادث الهجرة على الدهر خالدا ، وبين الأحداث علما ماجدا ، وكلما لاح الهلال الوليد في فاتحة العام الجديد انبعث ذكرى الهجرة قوية عاطرة ، كأنها وقعت بالأمس القريب ، وكأنها لم تقطع في أعماق التاريخ مئات السنين ، ولعل سرا خفيا من أسرار العلى القدير يعمر أرجاء هذه الذكرى على الدوام ، ليجعلها باعشا يحفز المسلمين إلى مواصلة المجهود ، والإيفاء بالعهود والاستقامة على صراط العزيز الحميد .

ولقد انطوت الهجرة بمقدماتها وخطواتها على دروس تعلم وتقوم ، وترشد وتسدد ، وفيها عظة وبلاغ لقوم يعقلون وفيها تذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فقد علمتنا الهجرة أن صاحب اللبدا إذا ضاق بالبيئة ، ولم يجد فيها عوامل الحصب والإنبات ، ولم يلح منها نور الأمل والرجاء تحول عنها مؤقتا إلى سواها ، حيث يجد المنتفس لدعوته ، والاستجابة لشرعته ، والنجاة بعقيدته ، وهو في الوقت نفسه لا ينسى الموطن الأصلى ، ولا البيئة الأولى ، بل يلتمس الأسباب ويرقب يوم الإياب ، حتى إذا ما ضلحت الظروف للعودة عاد هاديا راشدا ، لا غاضبا منتقما ، ومن هنا رأينا محمدا صلوات الله عليه ينظر إلى مكة حين خروجه منها مهاجرا ، ويقول متأثرا : « والله أنك لأحب أرض الله إلى ، وإنك لأحب بلاد الله إلى الله ، وأكرمها على

فى المريخ

كائنات حية

من الأمور المحتملة جداً ذلك الرأى القائل إن أحوال المريخ كانت منذ عصور طوال ملائمة لوجود نوع من النبات والحشرات الشبيهة بعض الشيء بنباتات الأرض وحشراتنا . وربما كان ما حدث هو أنه حين اختفى «الأكسجين» وبخار الماء من جو المريخ لم تستطع هذه الكائنات الحية أن تتطور إلى الرقى فتكون لها «أمخاخ» مثلاً كما حدث للكائنات الحية على الأرض بل ظلت غاية فى البساطة فرادى ومعقدة جداً كمجموعة .

وقد صور «أولاف ستابلدون» المريخ على هذه الصورة تصويراً بديعاً فقال : إن هذه الأحياء تكون سحبا صغيرة كل قطرة منها تنلق أو تصدر الإشارات التوجيهية كالجهاز العصبي فى الحيوانات التى تعيش على الأرض .

ووصف أول غارة من المريخ على الأرض بوصول سحابة خضراء ، وهى نوع من الدخان أو البخار الذى يمكن أن يتكاثف بفعل الضغط فيصير مادة هلامية .

كانه وهو فرد من جلالته

فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

حما ما أكثر الآيات التى تتعلمها من هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكن خير العلم ما وافقه العمل ، وإن أخسر الناس صفقة من ساق إليه ربه فى دينه أو دنياه علما فازداد به تاهية أو ضلالا ، وفى الهجرة ما فيها من حوافز المجد والثوب ، والثبات للزلازل والخطوب ، فهل آن الأوان لأمة محمد كى تنفض عن أجفانها آثار الوسن ، وترهق بإقدامها روح الوهن ، وتحقق عدها وعزها فى هذا الزمن؟ يأتباع محمد ، إنها لعنة القدر وسبة الأبد ، إن ضاع على

أيديكم تراث محمد . .

أحمد الترمباصى

المدرس بالأزهر الشريف

فى نصره دينها ونبيها ، ويمكنها أن تشارك عند الضرورة بمجهودها للصالح العام ، دون أن تشط أو تسرف ، فهذه عائشة تشهد نجويات الرسول مع أبى بكر فى بيته وتحفظ سرها ، وهذه أسماء تحمل الزاد إلى نزبلى الغار ، وهذه كوكبة من بنات الأنصار يستقبلن الرسول بالأغاريد والأناشيد ، وفى سبيل الله هانت على المرأة المؤمنة أزمات ، حدثت أسماء بنت أبى بكر فقالت . « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر فقالوا . أين أبوك يا بنت أبى بكر ؟ . فقلت : لأدرى والله أين أبى . فرفع أبو جهل لعنه الله يده — وكان فاحشا خبيثا — فلطم خدى لطمة ، فطرح منها قرطى » .

وعلمتنا الهجرة أن القائد إذا كان عبقرياً موهوباً استطاع أن يؤثر فى أتباعه ، وأن يهزم جموع أنصاره ، فيخضعهم بسلطانهم الروحي ، ويجمع أعنتهم فى زمامه العاطفى ، فكانهم مسخرون فى يديه بقوة عجيبة رهيبية ، يأمرهم فيأتمرون ، ويشير لهم فيستجيبون ، فى صمت وخضوع ، وإنكار للذات مع خشوع ، ولما لا وقد قامت لديهم الدلائل والبراهين على صدق هاديمهم ، وعبقريه قائدهم ، وإخلاص زائدتهم ؟ .

ومن هنا نرى حادث الهجرة وهو امتحان رهيب عصيب لفريق المؤمنين والمشرىكين على السواء ، يشير به الرسول ويدعو إليه فيلديه السكبار والصغار ، ويعمل له الجميع بالليل والنهار ، حتى يتم على أكمل وجه مطلوب . وإنه لمن صميم العجب أن يضع الرسول خطة هجرته وراء ستار ، ويعلم بهذه الخطة بعض السكبار كأبى بكر ، وبعض الشباب كعلى وعبد الله ابن أبى بكر ، وبعض الفتيات كعائشة وأسماء وبعض الموالى كعامر بن فهيرة ، بل وبعض المشرىكين كعبد الله ابن أريقط اللبثى ، ثم تظل الخطة مكتومة غير معلومة ، لا ينشئ لها سر ، ولا يظهر لها أمر ، ولا يدرك أحد من الأعداء أين توجه الرسول وصاحبه ، مع أن العرب اجتمعت على البحث عنه ، ورصدت الجائرة السكبرى لمن يأتى به حيا أو ميتا وهى مائة ناقة من خيرة النياق ، وهناك الفضول وحب الاستطلاع وكشف المجهول مما يغرى الفتيان والفرسان والشبان بتتبع آثار الرسول .

نعم إنها يد الله القوية القاهرة التى تغنى عن الحصون والجيش والجرارة ؛ وإنها شخصية الرسول الأمين ، سمت وعلت حتى ألفت ظلالها على من حولها فهدت المؤمنين ، وبهرت المشرىكين .